

كتب الفراشة - حكايات محبوبة

ليلى والأمير

هٰذِهِ «حِكاياتٌ مَحْبوبَةٌ» رائِعَةٌ يُحِبُّها أَبْناؤُنا ويَتَعَلَّقونَ بها. فالصِّغارُ مِنْهُمْ يَتَشَوَّقونَ إلى سَماعِ والِديهِمْ يَرْوونَها لَهُمْ؛ والقادِرونَ مِنْهُمْ على القِراءَةِ يُقْبِلونَ عَلَيْها بِلَهْفَةٍ وشَوْقٍ، فَيَتَمَرَّسونَ بِالقِراءَةِ ويَسْتَمْتِعونَ بِالحِكايَةِ. وهُمْ جَميعًا يَسْعَدونَ بِالتَّمَتُّعِ بِالرُّسومِ المُلَوَّنَةِ البَديعَةِ الَّتي تُساعِدُ على إثارَةِ الخَيالِ وتَكْمِلَةِ الجَوِّ القَصَصِيِّ.

وقَدْ وُجِّهَتْ عِنايَةٌ قُصْوى إلى الأَداءِ اللُّغَوِيِّ السَّليمِ والواضِحِ. وطُبِعَتِ النُّصوصُ بِأَحْرُفٍ كَبيرَةٍ مُريحَةٍ تُساعِدُ أَبْناءَنا على القِراءَةِ الصَّحيحَةِ.

كتب الفراشة - حكايات محبوبة

ليلى والأمير

إعداد: نادیا دیاب



مكتبة لبنان ناشرون



فِي قَدِيمِ الزَّمانِ ، كانَ أَحَدُ المُلوكِ العَرَبِ المَرْهوبينَ يَعيشُ مَعَ أُسْرَتِهِ وأَهْلِ بَلاطِهِ في قَلْعَةٍ جَبَلِيَّةٍ حَصينَةٍ .

وكانَ لِلمَلِكِ فَتًى وَسيمٌ ذَكِيٌّ اسْمُهُ جَميل . ماتَتْ أُمُّ جَميل وهو طِفْلٌ ، فتَزَوَّجَ المَلِكُ ثانِيَةً . لٰكِنَّ الزَّوْجَةَ الثّانِيَةَ لَمْ تُحْسِنْ مُعامَلَةَ الفَتى وأَهْمَلَتْ أَمْرَهُ ، فقامَتْ على رِعايَتِهِ فَتاةٌ ذَكِيَّةٌ فاتِنَةُ الجَمالِ .

أَحَبَّ الطِّفْلُ مُرَبِّيَتَهُ اللَّطيفَةَ الصّادِقَةَ ، كَما لَوْ كانَتْ أُمَّهُ .

غارَتْ زَوْجَةُ المَلِكِ مِنَ المُرَبِّيَةِ الحَسْناءِ وكَرِهَتْها كُرْهًا شَديدًا. قالَتْ لِزَوْجِها:

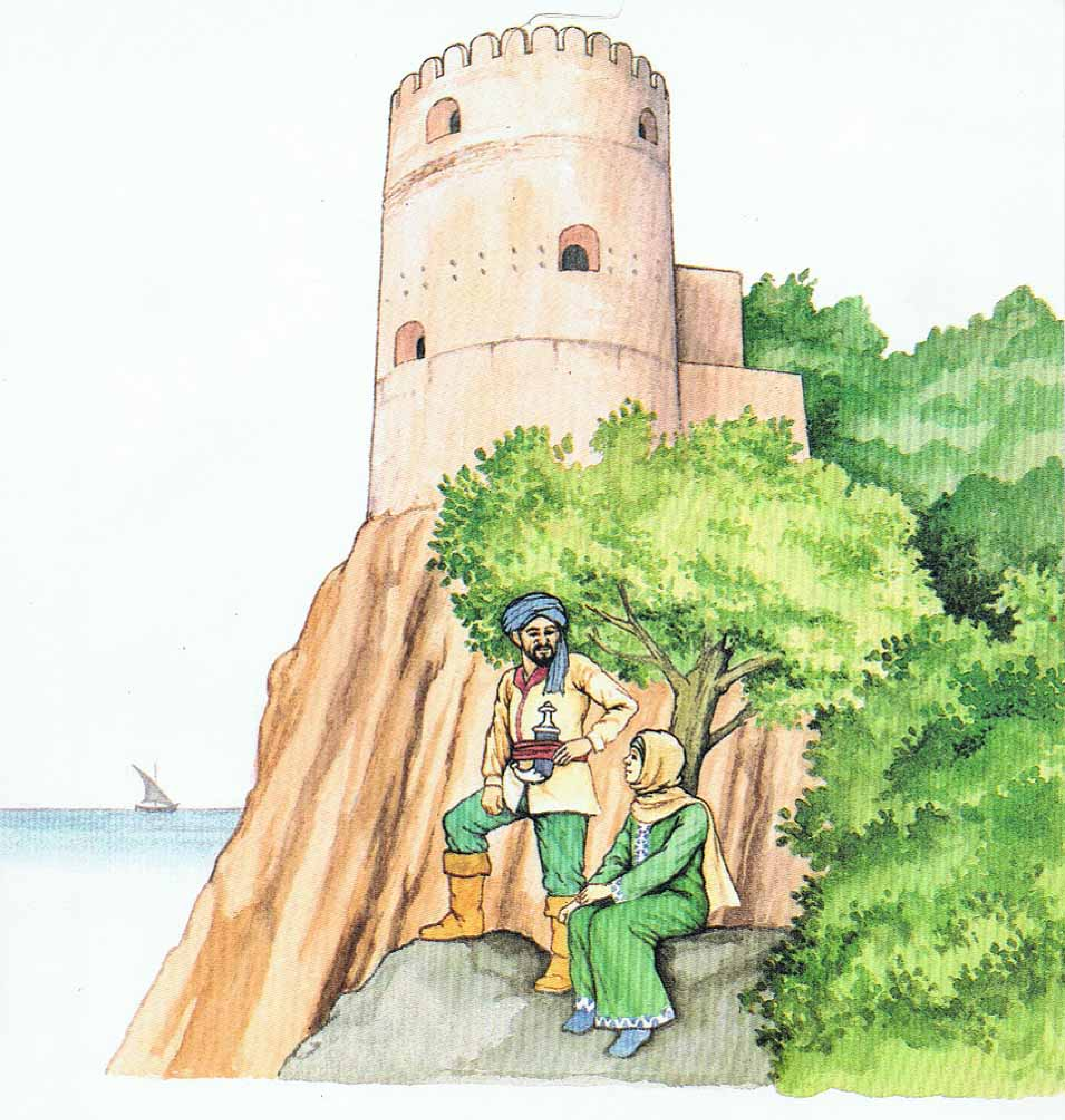
«هٰذِهِ الفَتاةُ لا تُحْسِنُ تَرْبِيَةَ الأَطْفالِ. إِنَّها ساحِرَةٌ! إِنَّها ابْنَةُ جِنِّيٍّ! ستَجْلُبُ عَلَيْنا كُلِّنا النَّحْسَ!»

لَمْ يَقْتَنِعِ المَلِكُ بِما قالَتْهُ زَوْجَتُهُ، وأَجابَها قائِلًا: «إِنَّها فَتاةٌ لَطيفَةٌ ومُرَبِّيَةٌ أَمينَةٌ، ولَنْ أَطْرُدَها.»

لٰكِنْ، وطَوالَ أَيّامٍ وأَسابيعَ، لَمْ تَكُفَّ الزَّوْجَةُ عَنِ الشَّكْوى. فقالَ المَلِكُ: «أَنْتِ ظالِمَةٌ. ستكونُ شَكْواكِ المُتَواصِلَةُ سَبَبًا في تَعاسَتِنا كُلِّنا.» أَخيرًا ضاقَ صَدْرُهُ، فصاحَ في غَضَبٍ:

«سأَطْرُدُها! والآنَ كُفّي عَنْ مُضايَقَتي!»





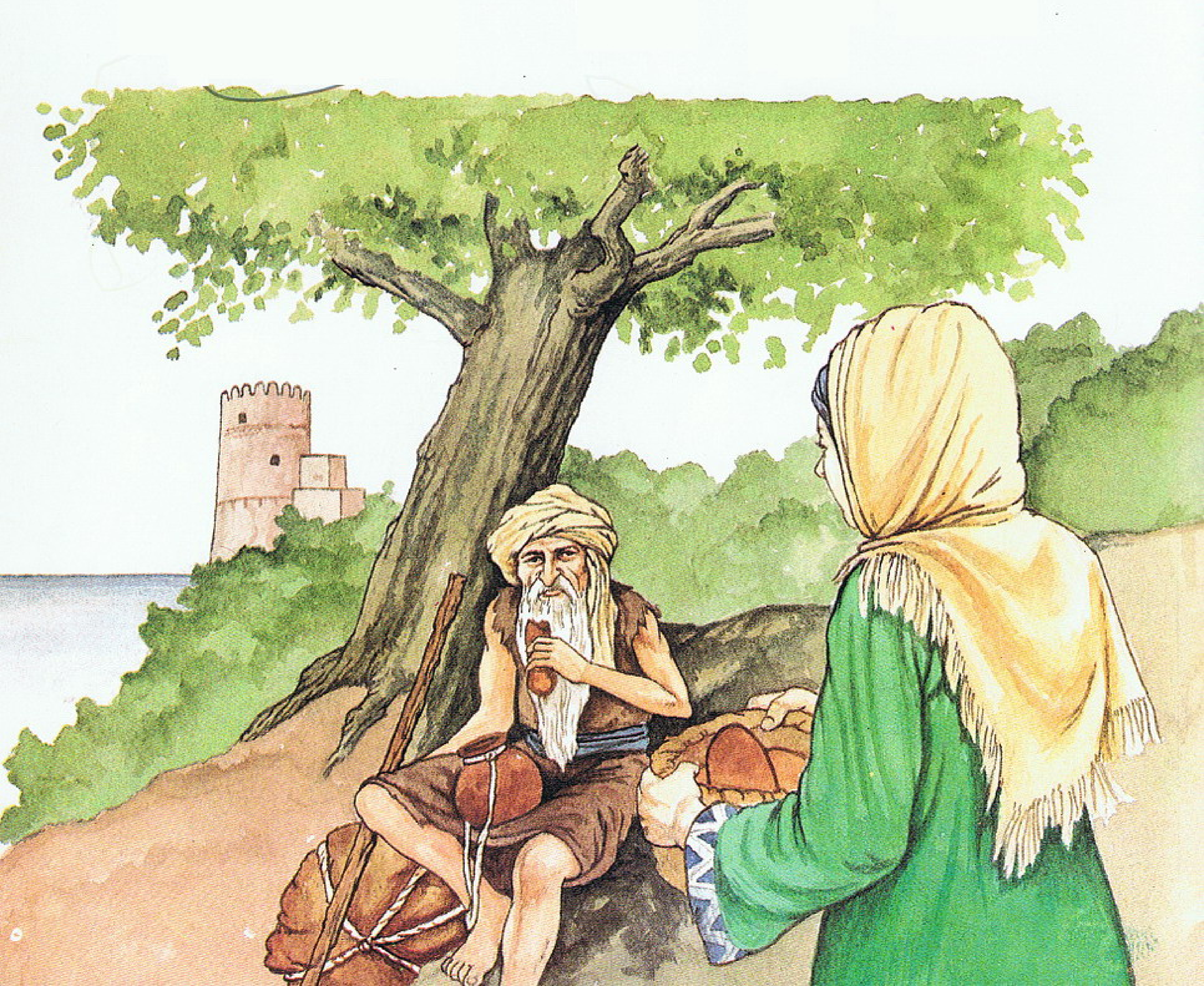
تَرَكَتِ الفَتاةُ قَلْعَةَ المَلِكِ الجَبَلِيَّةَ وذَهَبَتْ تَعيشُ قَريبًا مِنْ شاطِئِ البَحْرِ. وسُرْعانَ ما الْتَقَتْ هُناكَ شابًّا مِنْ جُنْدِ السُّلْطانِ يَعْمَلُ مُراقِبًا في أَحَدِ الأَبْراجِ السّاحِلِيَّةِ المُنْعَزِلَةِ. تَحابَّ الشّابّانِ وتَزَوَّجا وعاشا حَياةً بَسيطَةً هانِئَةً في ذٰلِكَ المَكانِ الهادِئِ اللَّطيفِ.

ذاتَ يَوْمٍ وَصَلَ إلى تِلْكَ المِنْطَقَةِ السّاحِلِيَّةِ عَجوزٌ ذو لِحْيَةٍ بَيْضاءَ طَويلَةٍ وعَيْنَيْنِ لَطيفَتَيْنِ بَرّاقَتَيْنِ. وكانَ قَدْ شاعَ بَيْنَ النّاسِ أنَّ لِهٰذا العَجوزِ القُدْرَةَ على التَّنَبُّؤِ بِالمُسْتَقْبَلِ.

رَأَتْ زَوْجَةُ المُراقِبِ العَجوزَ فأَشْفَقَتْ عَلَيْهِ وجَلَبَتْ لَهُ طَعامًا وماءً. فشَكَرَها وقالَ لَها: «يا سَيِّدَتي، أَنْتِ كَريمَةٌ جِدًّا. وسَيُكافِئُكِ اللهُ على كَرَمِكِ بِمُسْتَقْبَلٍ مُشْرِقٍ.»

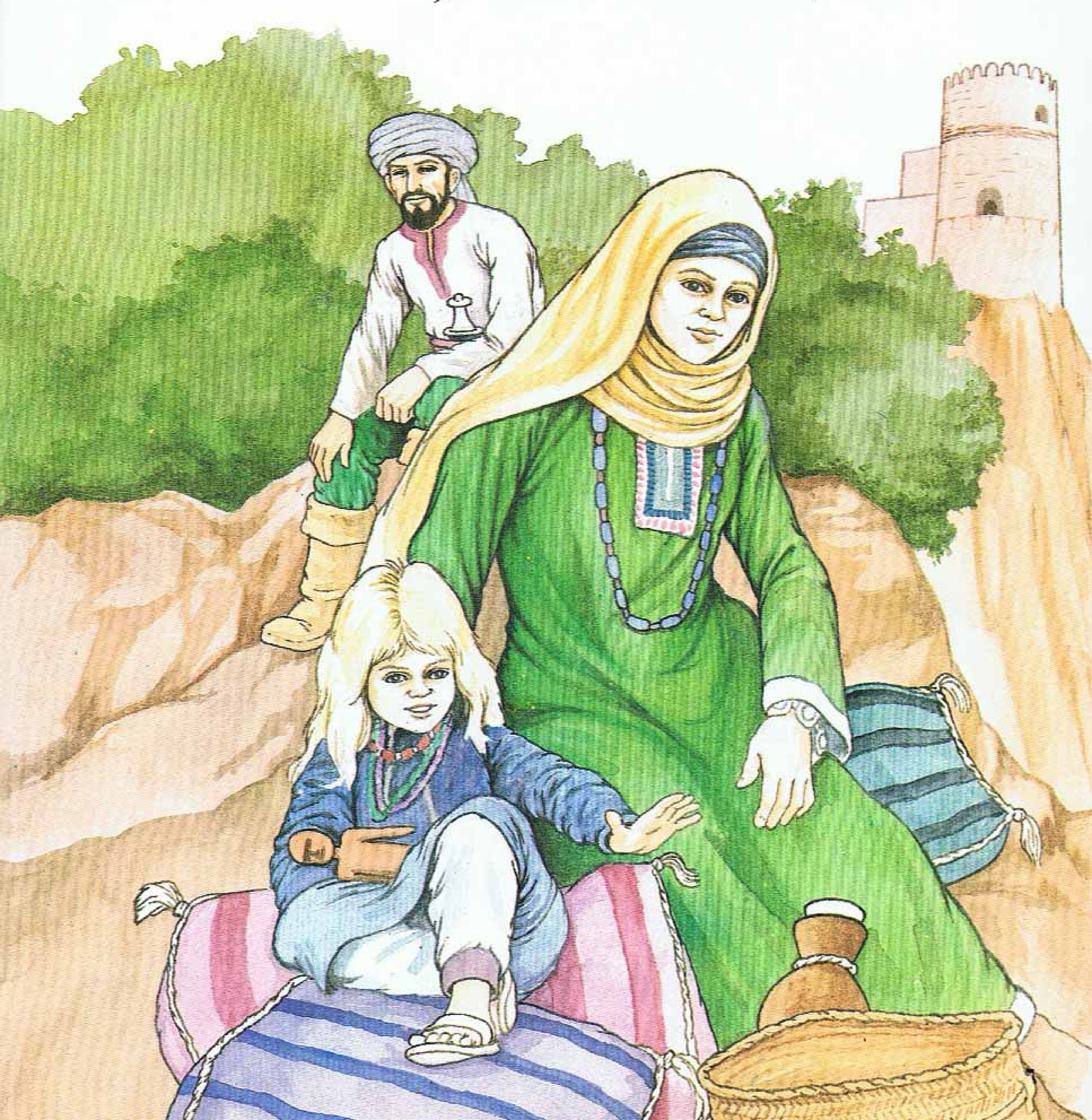
سَأَلَتِ الزَّوْجَةُ بِلَهْفَةٍ: «أَلا تُوَضِّحُ لي كَلامَكَ؟»

«سيَهَبُكِ اللهُ قَريبًا طِفْلَةً فاتِنَةَ الجَمالِ مِثْلَكِ. وسيَكونُ لِلطِّفْلَةِ شَعْرٌ طَويلٌ فاتِنٌ يَجْلُبُ لَكُمْ جَميعًا حُسْنَ الطالِعِ. لٰكِنْ عَلَيْها أَلّا تَقُصَّ شَعْرَها أَبَدًا.»



وُلِدَتِ الطِّفْلَةُ الجَميلَةُ ، فأَسْماها والِداها لَيْلى. ولَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتّى كانَتْ لَيْلى تَقْفِزُ بِمَرَحٍ عَلى دَرَجاتِ البُرْجِ صُعودًا ونُزولًا ، وتَلْعَبُ عَلى شاطِئِ البَحْرِ ، وتَرْكُضُ بَيْنَ أَشْجارِ الغابَةِ المُجاوِرَةِ ، ولا تَكُفُّ في أَثْناءِ ذلِكَ كُلِّهِ عَنِ الضَّحِكِ والابْتِسامِ.

وكانَ شَعْرُ لَيْلى يَزْدادُ طولًا وجَمالًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ.





تَتابَعَتِ الفُصولُ والسَّنَواتُ . وانْتَقَلَتْ لَيْلى في هٰذا الجَوِّ الهادِئِ البَريءِ مِنْ طِفْلَةٍ رَقيقَةٍ إلى فَتاةٍ رَشيقَةٍ ، ثُمَّ إلى صَبِيَّةٍ فائِقَةِ الحُسْنِ والجَمالِ .

وفي الوَقْتِ نَفْسِهِ ، كانَ الأَميرُ جَميل يَزْدادُ فُتُوَّةً وصَلابَةً يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ . وقَدِ اخْتارَ لَهُ والِدُهُ شُيوخًا يُعَلِّمونَهُ أُصولَ الدِّينِ والحِكْمَةَ ، كَما اسْتَدْعى لَهُ المُدَرِّبينَ يُعَلِّمونَهُ الفُروسِيَّةَ وفُنونَ القِتالِ ورَمْيَ السِّهامِ والمُبارَزَةَ بِالسَّيْفِ .

وكانَ الصَّيْدُ والقَنْصُ هِوايَةَ الأَميرِ جَميل المُفَضَّلَةَ . كانَ يَجوبُ الجِبالَ العالِيَةَ المُشْرِفَةَ عَلى البَحْرِ حَيْثُ كانَتْ قَلْعَةُ أَبيهِ ، ويُرْسِلُ صَقْرَهُ لِيَصْطادَ بِهِ الأَرانِبَ البَرِّيَّةَ والطُّيورَ وطَرائِدَ أُخْرى .



خَرَجَ جَميل ذاتَ يَوْمٍ يَصْطادُ. وحَدَثَ أَنِ انْطَلَقَ صَقْرُهُ وَراءَ طائِرٍ سَريعٍ. وتَبِعَ جَميل الصَّقْرَ على فَرَسِهِ، فدَخَلَ غاباتٍ، وقَطَعَ أَنْهارًا، ونَزَلَ مُنْحَدَراتٍ، وعَبَرَ أَوْدِيَةً.

أَخيرًا تَوَقَّفَ جَميل على تَلَّةٍ مُشْرِفَةٍ على البَحْرِ لِيَرْتاحَ. لٰكِنَّهُ كانَ قَدْ ضَيَّعَ طَريقَهُ في ذٰلِكَ المَكانِ البَعيدِ عَنْ قَصْرِ أَبيهِ. بَدَأَ الظَّلامُ يُخَيِّمُ، ولَمْ يَرَ حَوْلَهُ إلّا بُرْجًا مُنْعَزِلًا فَوْقَ شاطِئٍ صَخْرِيٍّ، فاتَّجَهَ نَحْوَهُ.

اِلْتقى جَميل في طَريقِهِ إلى البُرْجِ لَيْلى ، ففَتَنَهُ جمالُها. حيّاها وسأَلَها : «مَنْ أَنْتِ؟»

«أَنا لَيْلى ابْنَةُ مُراقِبِ البُرْجِ. ومَنْ أَنْتَ؟»

«أَنا الأَميرُ جَميل ، ابْنُ المَلِكِ.»

اِرْتَسَمَتِ الدَّهْشَةُ على وَجْهِ لَيْلى وقالَتْ : «لَمْ أَرَ في حَياتي أَميرًا مِنْ قَبْلُ. لٰكِنْ أَظُنُّ أَنّي كُنْتُ سأَحْزِرُ أَنَّكَ أَميرٌ ، حَتّى ولَوْ لَمْ تُخْبِرْني أَنْتَ بِذٰلِكَ.»

أَجابَ جَميل بِاطْمِئْنانٍ وصِدْقٍ : «وأَنْتِ ، لَوْ لَمْ تُخْبِريني أَنَّكِ ابْنَةُ مُراقِبِ البُرْجِ لَقُلْتُ إِنَّكِ أَميرَةٌ.»



عادَ جَميل في اليَوْمِ التّالي إلى القَلْعَةِ. وبَدا صامِتًا ميّالًا إلى العُزْلَةِ. رَآهُ أَبوهُ على هٰذِهِ الحالِ، فقالَ لَهُ:

«ما بِكَ يا بُنَيَّ؟»

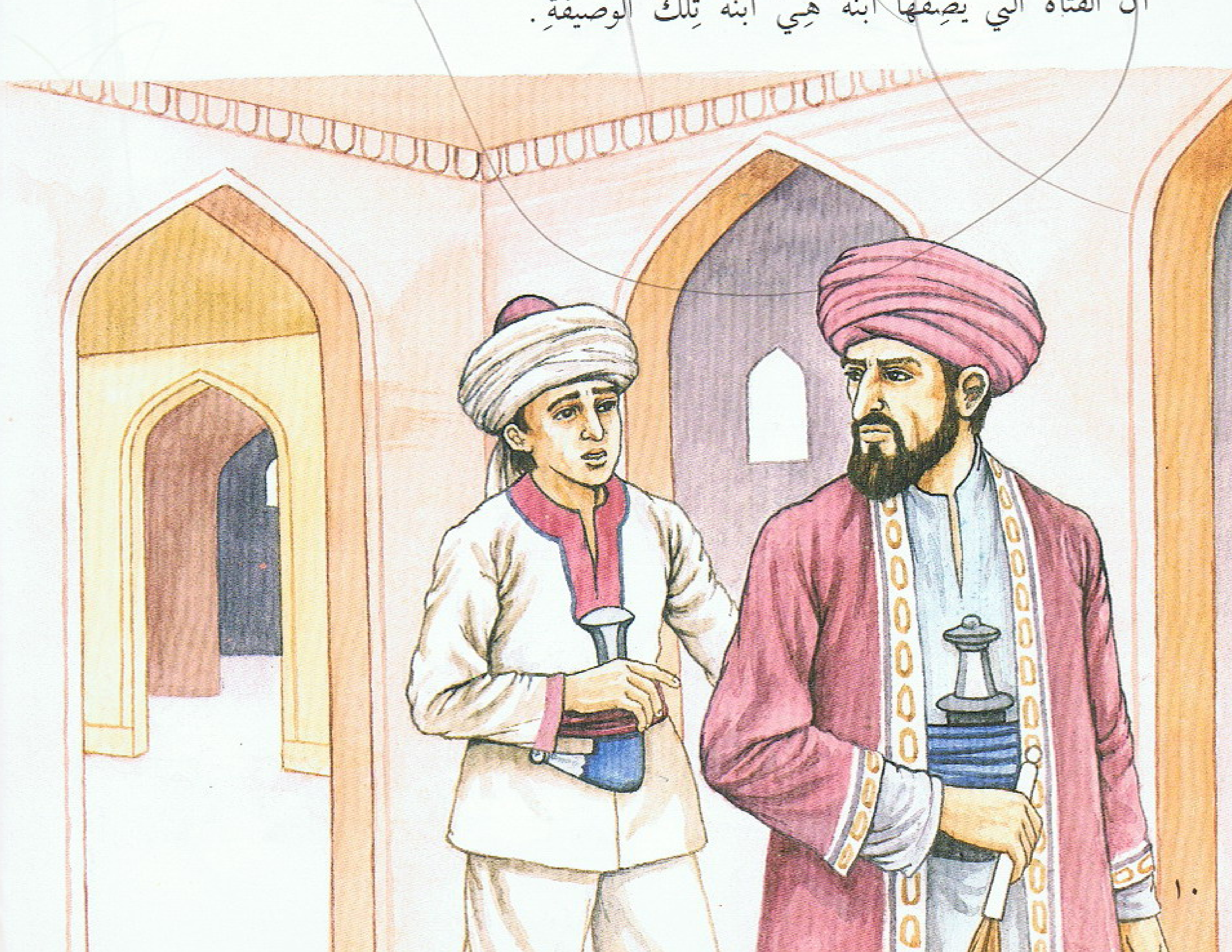
أَجابَ جَميل: «أَبي، وَجَدْتُ عروسًا لي.»

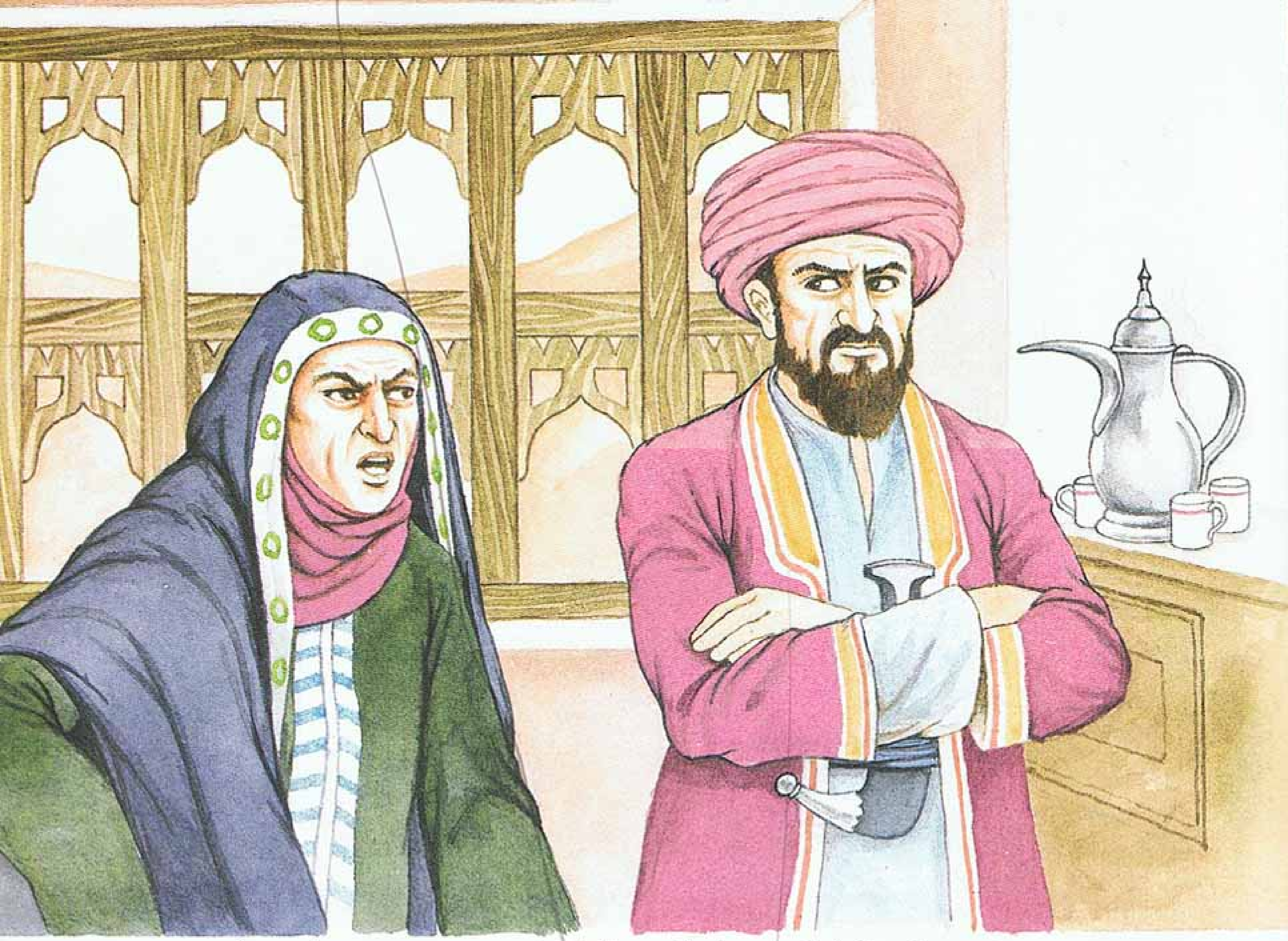
سَأَلَ المَلِكُ: «ومَنْ هِيَ تِلْكَ العَروسُ، يا بُنَيَّ؟»

«اِبْنَةُ أَحَدِ جُنودِكَ، يا أَبي. اِبْنَةُ مُراقِبِ بُرْجٍ بَحْرِيٍّ. إنَّها أَجْمَلُ فَتاةٍ في الدُّنْيا.»

وأَخَذَ يَصِفُ لِأَبيهِ الفَتاةَ الَّتي أَحَبَّ.

وكانَ المَلِكُ قَدْ سَمِعَ بِزَواجِ الوَصيفَةِ الفاتِنَةِ مِنْ مُراقِبِ بُرْجٍ بَحْرِيٍّ. فَأَدْرَكَ على الفَوْرِ أَنَّ الفَتاةَ الَّتي يَصِفُها ابْنُهُ هِيَ ابْنَةُ تِلْكَ الوَصيفَةِ.





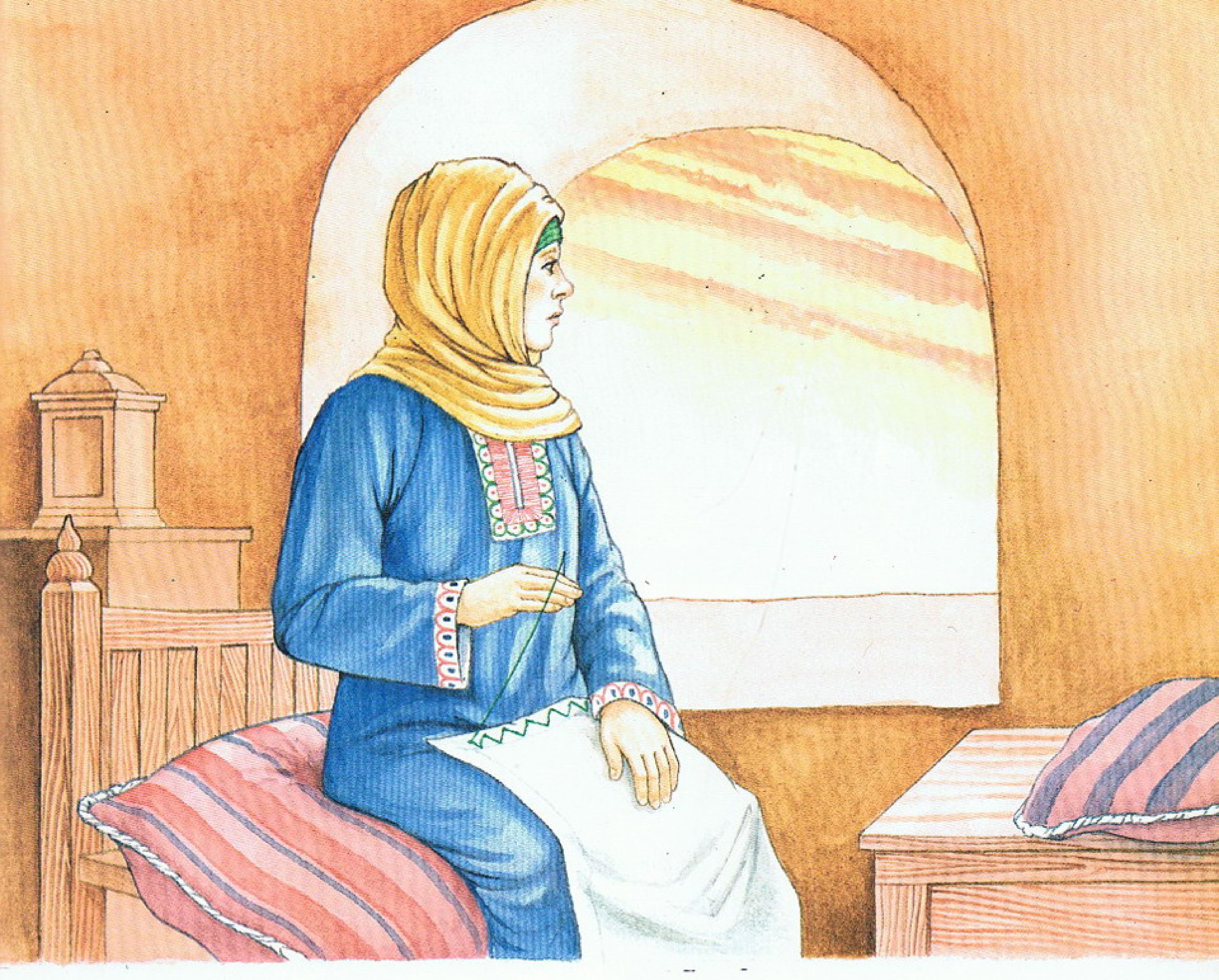
قالَ المَلِكُ: «عَلَيْنا أَنْ نَتَرَيَّثَ قَليلاً، وأَنْ نَسْتَشيرَ المَلِكَةَ في هٰذا الأَمْرِ.»

عِنْدَما عَرَفَتِ المَلِكَةُ أَنَّ الأَميرَ يَرْغَبُ في الزَّواجِ مِنِ ابْنَةِ الوَصيفَةِ الفاتِنَةِ أَصابَها غَضَبٌ شَديدٌ، وصاحَتْ:

«لا يُمْكِنُ! لا يُمْكِنُ! أَيَتَزَوَّجُ ابْنَةَ خادِمَةٍ؟ أَيَتَزَوَّجُ ابْنَةَ ساحِرَةٍ؟ أَنا لَنْ أَسْمَحَ بِذٰلِكَ أَبَدًا!»

لَمْ تُفِدْ مُحاوَلاتُ المَلِكِ في إِقْناعِها. وذاتَ يَوْمٍ صاحَتْ قائِلَةً: «تِلْكَ الخادِمَةُ شُؤْمٌ عَلَيْنا، وابْنَتُها شُؤْمٌ أَيْضًا. عَلَيْنا أَنْ نُحارِبَ الشَّرَّ ونَهْزِمَهُ!»

أَحَسَّ المَلِكُ أَنَّ حَياةَ لَيْلى في خَطَرٍ، فَكَتَبَ رِسالَةً، وسَلَّمَها إلى أَحَدِ رِجالِهِ، وأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَجَّهَ بِها فَوْرًا إلى مُراقِبِ البُرْجِ البَحْرِيِّ. وتَسَلَّلَ الرَّسولُ خارِجَ المَدينَةِ فَجْرًا.

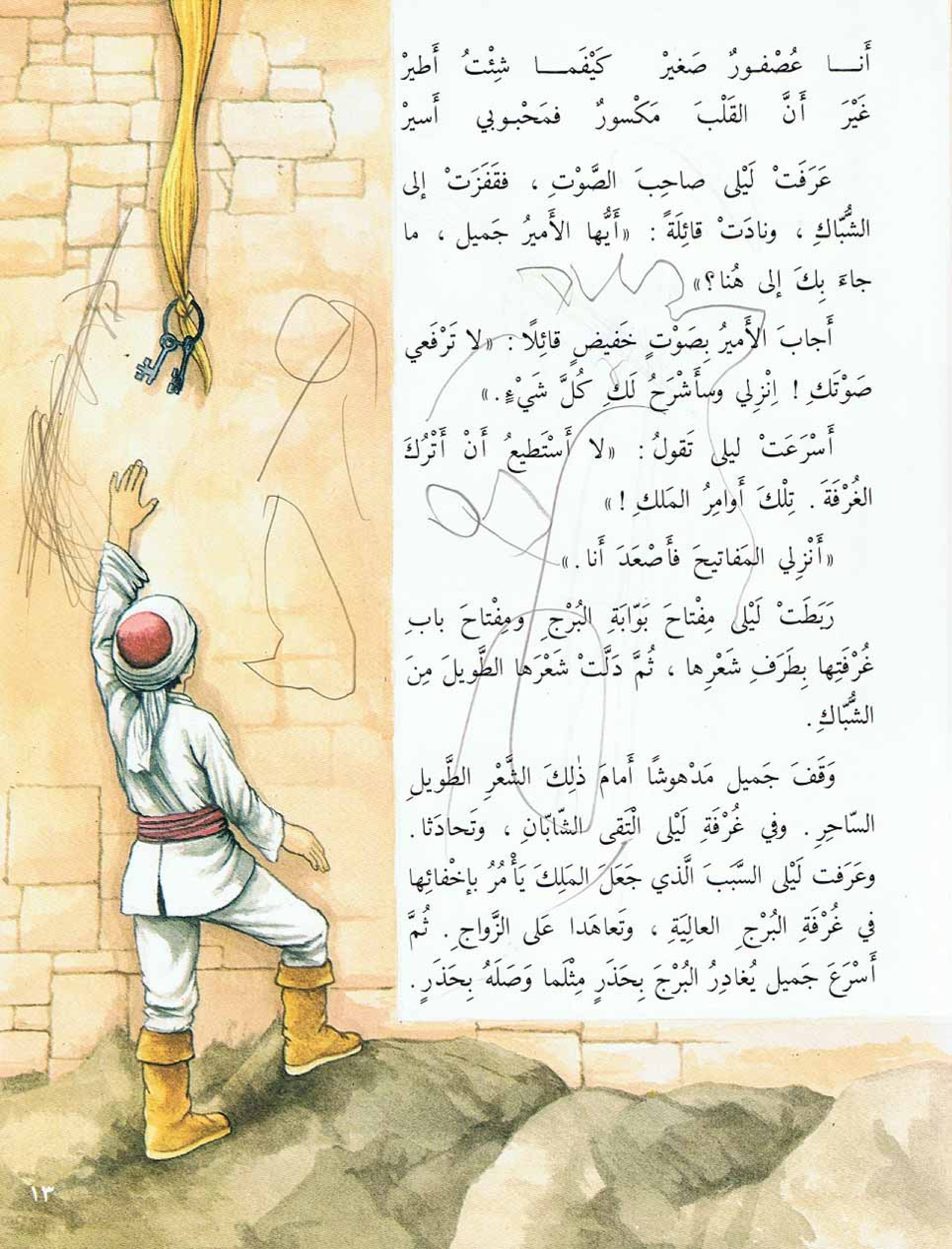


تَسلَّمَ والِدا لَيْلى رِسالَةَ المَلِكِ. جاءَ في الرِّسالَةِ أَنَّ على الوالِدَيْنِ أَنْ يُخْفِيا ابْنَتَهُما في إحْدى غُرَفِ البُرْجِ العالِيَةِ، وأَلّا يَسْمَحا لَها بِالخُروجِ مِنْ تِلْكَ الغُرْفَةِ أَبَدًا.

تَساءَلَتِ الأُمُّ في دَهْشَةٍ عَنْ مَعْنى تِلْكَ الرِّسالَةِ. فَقالَ الأَبُ: «لا أَدْري. لٰكِنْ عَلَيْنا أَنْ نُطيعَ أَوامِرَ المَلِكِ.»

وهٰكَذا حُبِسَتِ الفَتاةُ نَفْسَها في غُرْفَةٍ عالِيَةٍ، وأُقْفِلَتِ البابُ بِالمِفْتاحِ. ومَرَّتْ أَسابيعُ والفَتاةُ مَحْبوسَةٌ في غُرْفَتِها لا تَخْرُجُ مِنْها أَبَدًا، ولا تَرى أَحَدًا. وكانَتْ تَشْغَلُ أَوْقاتَها بِالحِياكَةِ والخِياطَةِ، أَوْ بِتَأَمُّلِ البَحْرِ بِعَيْنَيْنِ دامِعَتَيْنِ.

ذاتَ مَساءٍ، سَمِعَتْ صَوْتًا دافِئًا يُغَنّي تَحْتَ شُبّاكِها قائِلًا:



أَنــا عُصْفورٌ صَغيرْ   كَيْفَمــا شِئْتُ أَطيرْ
غَيْرَ أَنَّ القَلْبَ مَكْسورٌ فمَحْبوبي أَسيرْ

عَرَفَتْ لَيْلى صاحِبَ الصَّوْتِ ، فقَفَزَتْ إلى الشُّبّاكِ ، ونادَتْ قائِلَةً : «أَيُّها الأَميرُ جَميل ، ما جاءَ بِكَ إلى هُنا؟»

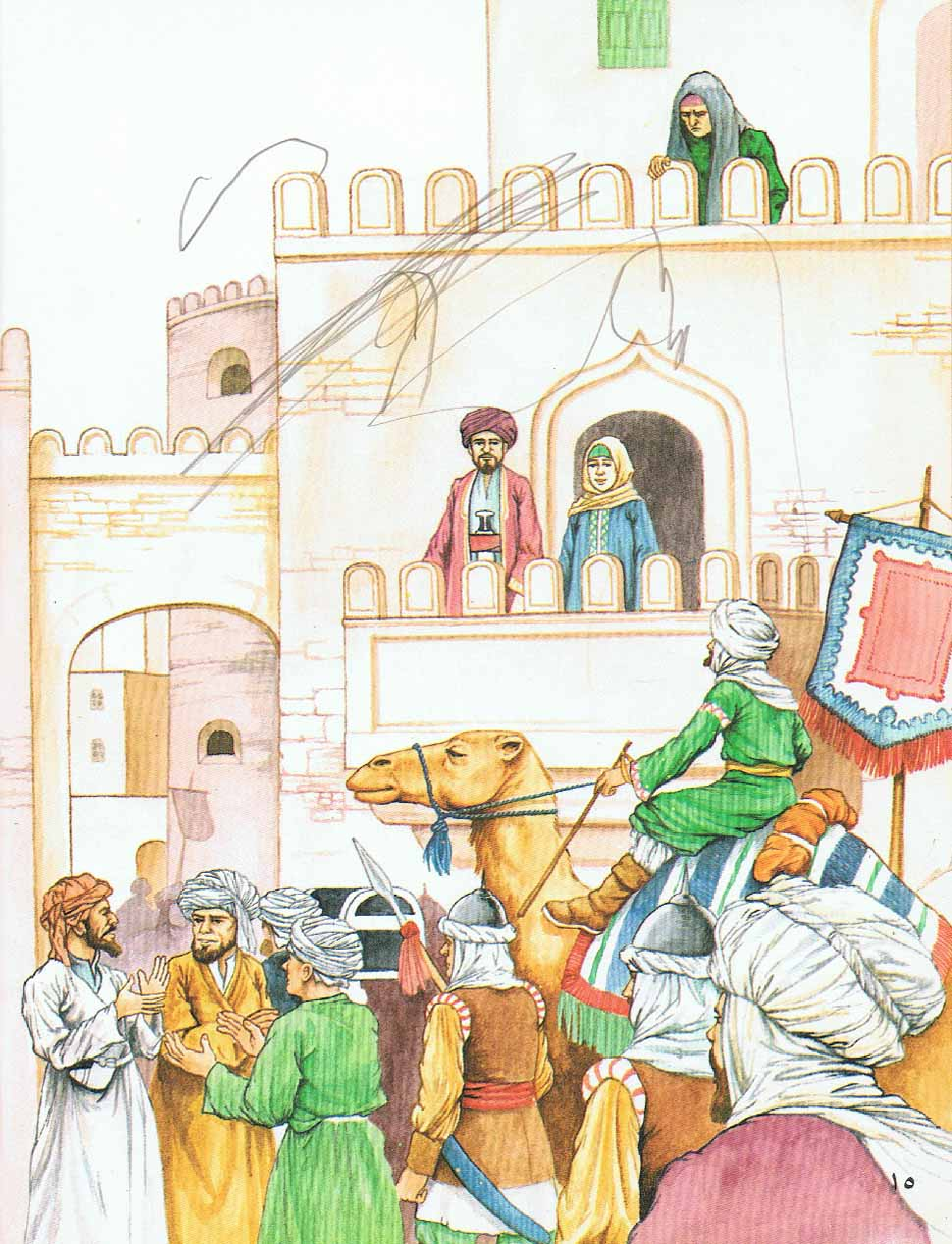
أَجابَ الأَميرُ بِصَوْتٍ خَفيضٍ قائِلًا : «لا تَرْفَعي صَوْتَكِ ! اِنْزِلي وسَأَشْرَحُ لَكِ كُلَّ شَيْءٍ .»

أَسْرَعَتْ ليلى تَقولُ : «لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَتْرُكَ الغُرْفَةَ . تِلْكَ أَوامِرُ المَلِكِ !»

«أَنْزِلي المَفاتيحَ فأَصْعَدَ أَنا .»

رَبَطَتْ لَيْلى مِفْتاحَ بَوّابَةِ البُرْجِ ومِفْتاحَ بابِ غُرْفَتِها بِطَرَفِ شَعْرِها ، ثُمَّ دَلَّتْ شَعْرَها الطَّويلَ مِنَ الشُّبّاكِ .

وَقَفَ جَميل مَدْهوشًا أَمامَ ذٰلِكَ الشَّعْرِ الطَّويلِ السّاحِرِ . وفي غُرْفَةِ لَيْلى الْتَقى الشّابّانِ ، وتَحادَثا . وعَرَفَت لَيْلى السَّبَبَ الَّذي جَعَلَ المَلِكَ يَأْمُرُ بإخْفائِها في غُرْفَةِ البُرْجِ العالِيَةِ ، وتَعاهَدا على الزَّواجِ . ثُمَّ أَسْرَعَ جَميل يُغادِرُ البُرْجَ بِحَذَرٍ مِثْلَما وَصَلَهُ بِحَذَرٍ .



فِي ذٰلِكَ العامِ مَرِضَ المَلِكُ العَجوزُ. ولَمْ يَلْبَثْ أَنْ تُوُفِّيَ بَعْدَ حينٍ. حَزِنَ عَلَيْهِ النّاسُ كُلُّهُمْ حُزْنًا شَديدًا. ونُصِّبَ الأَميرُ جَميل مَلِكًا خَلَفًا لَهُ.

اِسْتَدْعى المَلِكُ الشّابُّ، بَعْدَ حينٍ، لَيْلى وأَعْلَنَ لِشَعْبِهِ أَنَّهُ سَيَتَزَوَّجُها. ودامَتِ احْتِفالاتُ الزَّواجِ شَهْرًا كامِلًا. فأُقيمَتِ المِهْرَجاناتُ والمُبارَياتُ والأَلْعابُ. وشارَكَتْ وُفودٌ مِنَ المَمالِكِ الأُخْرى في الاِحْتِفالاتِ وحَمَلَتِ الهَدايا الثَّمينَةَ.

أَحَبَّ النّاسُ كُلُّهُمُ العَروسَ الفاتِنَةَ اللَّطيفَةَ، ما عَدا زَوْجَةَ المَلِكِ المُتَوَفّى، فإِنَّها كانَتْ لا تَزالُ تَكْرَهُ الفَتاةَ وتَتَمَنّى لَها المَوْتَ!





كانَ المَلِكُ جَميل حَكيمًا عادِلًا في حُكْمِهِ ، فَأَحَبَّهُ الشَّعْبُ وازْدَهَرَتِ البِلادُ في عَهْدِهِ ازْدِهارًا عَظيمًا . وقَصَدَ البَلاطَ الحُكَماءُ والفَنّانونَ والعُلَماءُ مِنْ شَتّى أَنْحاءِ البِلادِ . كَما وَفَدَ الحِرَفِيّونَ والموسيقِيّونَ والأَطِبّاءُ والمُهَنْدِسونَ مِنَ البِلادِ المُجاوِرَةِ لِيَكْسِبوا عَيْشَهُمُ الكَريمَ في ذٰلِكَ البَلَدِ العَظيمِ .

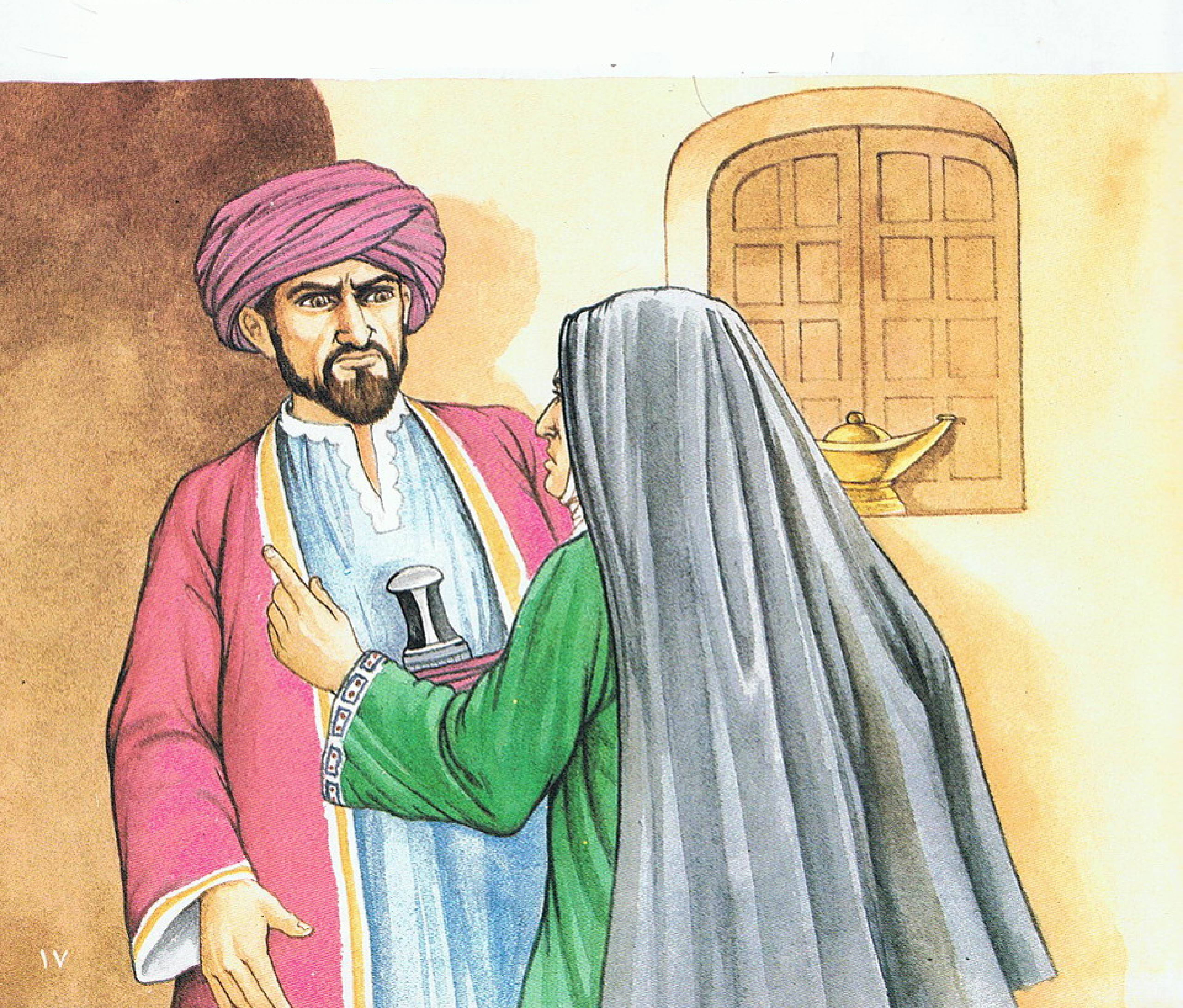
كانَ المَلِكُ يَعْمَلُ بِجِدٍّ ونَشاطٍ . وكانَ فَخورًا بِما يُحَقِّقُ مِنْ نَجاحٍ لِبَلَدِهِ . وأَقَرَّ النّاسُ لِمَلِكِهِمْ بِالفَضْلِ . لٰكِنَّ بَعْضَهُمْ كانَ يَقولُ : «الفَضْلُ لَيْسَ لِلمَلِكِ بَلِ الفَضْلُ لِشَعْرِ زَوْجَتِهِ الطَّويلِ السّاحِرِ الَّذي يَجْلُبُ لَهُ الحَظَّ .»

ذاتَ يَوْمٍ الْتَقى المَلِكُ جَميل زَوْجَةَ أَبيهِ ، فقالَتْ لَهُ : «تَعْرِفُ ما يَقولونَ عَنْ شَعْرِ زَوْجَتِكَ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ؟»

اِبْتَسَمَ جَميل وقالَ : «أَعْرِفُ ما يَقولونَ ، لٰكِنَّ النّاسَ كُلَّهُمْ يَعْلَمونَ أَنَّ السَّبَبَ في ازْدِهارِ البِلادِ هُوَ الحِكْمَةُ والعَمَلُ النَّشيطُ .» قالَتِ المَرْأَةُ مُتَحَدِّيَةً : «أَثْبِتْ ذٰلِكَ .»

أَجابَ جَميل غاضِبًا : «سَأَطْلُبُ مِنْ لَيْلى أَنْ تَقُصَّ شَعْرَها . هَلْ يُرْضيكِ ذٰلِكَ؟»

وهٰكَذا طَلَبَ جَميل مِنْ لَيْلى أَنْ تَقُصَّ شَعْرَها ، لٰكِنَّهُ فوجِئَ بِجَوابِها ، فقَدْ قالَتْ لَهُ : «تَعْرِفُ أَنّي لا أَرْفُضُ لَكَ طَلَبًا . لٰكِنْ لا تَطْلُبْ مِنّي أَنْ أَقُصَّ شَعْري .»



حَدَثَ بَعْدَ أَيّامٍ أَنْ كانَ المَلِكُ مُجْتَمِعًا بِبَعْضِ أَعْيانِ البِلادِ ، ودارَ حَديثُ الازْدِهارِ الَّذي تَنْعَمُ بِهِ البِلادُ.

وكانَ بَيْنَ الحُضورِ رَجُلٌ أَرْسَلَتْهُ خالَةُ المَلِكِ لِلدَّسِّ والتَّحْريضِ. قالَ الرَّجُلُ : «أَطالَ اللهُ عُمْرَ المَلِكِ...» ثُمَّ أَضافَ بِخُبْثٍ : «وأَطالَ شَعْرَ زَوْجَتِهِ !»

غَضِبَ المَلِكُ غَضَبًا شَديدًا ، فطَرَدَ الرَّجُلَ. لٰكِنَّهُ قالَ في نَفْسِهِ : «سأَضَعُ حَدًّا لِهٰذا الكَلامِ.»

تناوَلَ المَلِكُ مِقَصًّا وذَهَبَ إلى غُرْفَةِ زَوْجَتِهِ ، فوَجَدَها نائِمَةً. وأَسْرَعَ يَقُصُّ شَعْرَها كُلَّهُ. وما إنِ انْتَهى مِنْ ذٰلِكَ حَتّى لَمَعَ في الغُرْفَةِ بَرْقٌ عَظيمٌ ، ثُمَّ دَخَلَ على المَلِكِ



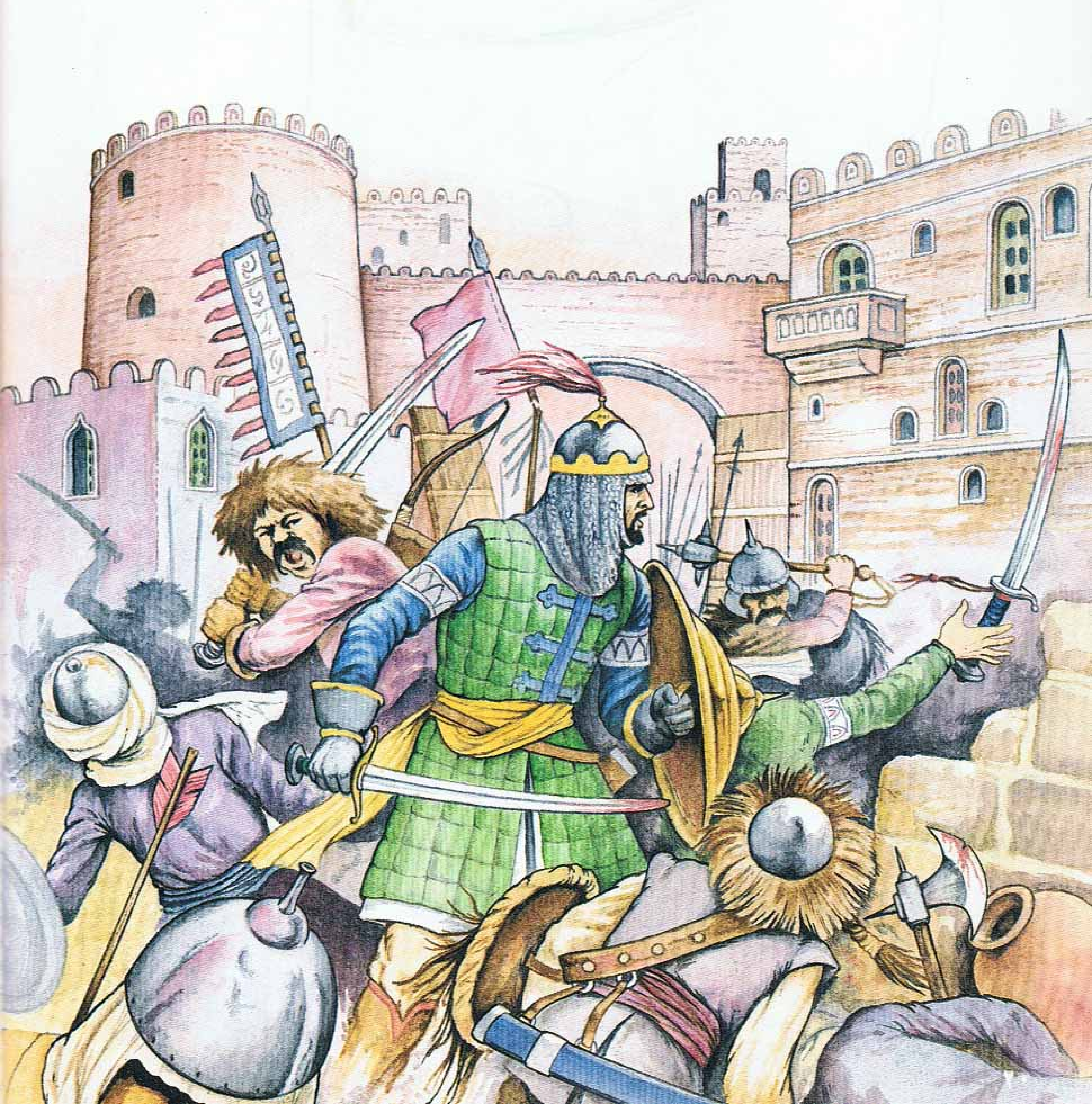


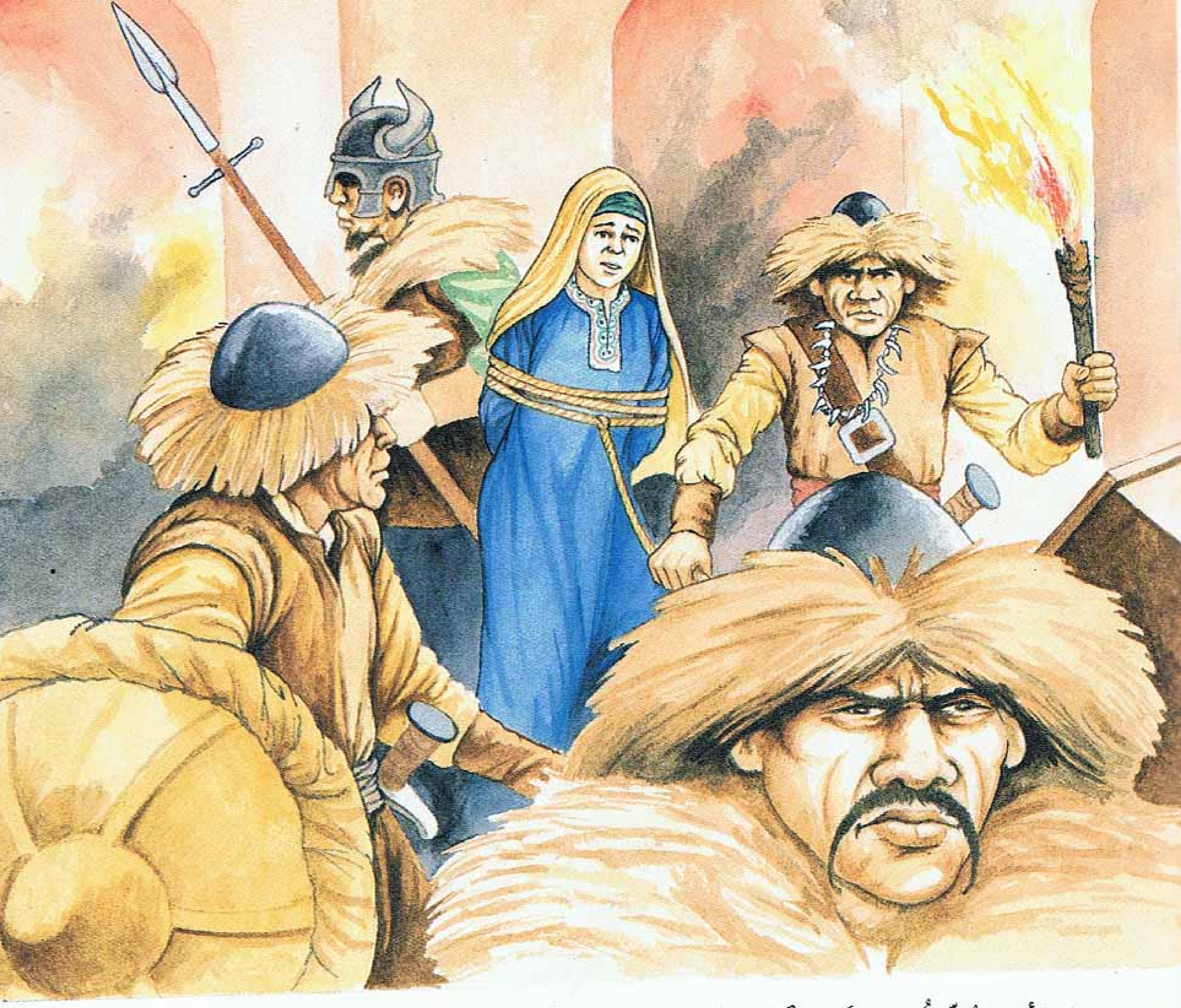
حاجِبٌ مِنْ حُجّابِهِ يَصيحُ بِفَزَعٍ : «يا مَوْلايَ ! يا مَوْلايَ ! العَدُوُّ يُهاجِمُ مَدينَتَنا !»

تَناوَلَ المَلِكُ سَيْفَهُ ودِرْعَهُ وأَسْرَعَ يَجْمَعُ رِجالَهُ ويَنْدَفِعُ بِهِمْ إلى أَسْوارِ المَدينَةِ.

كانَ جُنْدُ العَدُوِّ قَدْ بَدَأوا يَتَسَلَّقونَ الأَسْوارَ ، فقاتَلَهُمُ المَلِكُ وجُنودُهُ قِتالًا مَريرًا وراحوا يَصُدّونَ الهَجْمَةَ بَعْدَ الهَجْمَةِ. لٰكِنَّ التِّلالَ المُطِلَّةَ على الوادي كانَتْ تَضيقُ بالمُغيرينَ مِنْ جُنودِ الأَعْداءِ.

أَخَذَ رِجالُ المَلِكِ يَتَساقَطونَ في ساحَةِ المَعْرَكَةِ. وبَعْدَ ساعاتٍ مِنَ القِتالِ المَريرِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ حَيًّا إلّا عَدَدٌ قَليلٌ. فَجْأَةً انْهارَتْ أَبْوابُ المَدينَةِ ودَخَلَ جُنودُ العَدُوِّ. ودافَعَ مَنْ تَبَقّى مِنْ رِجالِ المَلِكِ دِفاعًا شُجاعًا حَتّى قُتِلوا جَميعًا. وبَقِيَ المَلِكُ يُحارِبُ وَحْدَهُ. وسُرْعانَ ما أَصابَتْ ضَرْبَةُ سَيْفٍ ظَهْرَهُ، فسَقَطَ عَلى الأَرْضِ في بِرْكَةٍ مِنَ الدِّماءِ.





رَأى سُكّانُ المَدينَةِ مَقْتَلَ المُدافِعينَ وسُقوطَ المَلِكِ فهَرَبوا إلى الجِبالِ.

اِنْدَفَعَ رِجالُ العَدُوِّ إلى القَلْعَةِ فمَلأوا جُيوبَهُمْ بِالذَّهَبِ والمُجَوْهَراتِ والأَشْياءِ الثَّمينَةِ، وحَمَلوا السَّجّادَ والتُّحَفَ. ثُمَّ أَمَرَهُمْ قائِدُهُمْ أَن يَبْحَثوا عَنْ زَوْجَةِ المَلِكِ، فوَجَدوها مُخْتَبِئَةً في إحْدى غُرَفِ القَلْعَةِ، وهيَ تَكادُ تَموتُ خَوْفًا وقَلَقًا.

قالَ القائِدُ: «أَنْتِ أَسيرَتُنا، وستَأْتينَ مَعَنا.»

لَفَّ الرِّجالُ حَبْلًا حَوْلَ يَدَيْ لَيْلى وصَدْرِها وأَخَذوها مَعَهُمْ إلى الشّاطِئِ، حَيْثُ كانَتْ سُفُنُهُم الَّتي شَنّوا بِها غارَتَهُمُ المُفاجِئَةَ راسِيَةً.



سُرَّ مَلِكُ الأَعْداءِ سُرورًا عَظيمًا بِعَوْدَةِ رِجالِهِ مُنْتَصِرينَ ومُحَمَّلينَ بِالذَّهَبِ والمُجَوْهَراتِ والبَضائِعِ الثَّمينَةِ. ثُمَّ سَأَلَ قائِدَ جَيْشِهِ قائِلًا: «والمَرْأَةُ؟ أَيْنَ هِيَ؟»

أَجابَ القائِدُ: «أَسَرْناها، يا مَوْلايَ.»

قالَ المَلِكُ: «أَحْضِرْها حالًا! أُريدُ أَنْ أَرى شَعْرَها الَّذي يُقالُ إِنَّهُ يَجْلُبُ السَّعْدَ.» وحينَ رَأى أَنَّ شَعْرَ لَيْلى الطَّويلَ قَدْ ذَهَبَ كُلُّهُ غَضِبَ غَضَبًا شَديدًا، وصاحَ: «لِمَ فَعَلْتِ ذٰلِكَ؟»

بَكَتْ لَيْلى المَذْعورَةُ وقالَتْ: «الرَّحْمَةَ، يا مَوْلايَ! أَنا نَفْسي لا أَعْرِفُ كَيْفَ ذَهَبَ شَعْري.»

صاحَ المَلِكُ: «اِحْبِسوها في بُرْجٍ، فَلا تَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا حَتّى يَطولَ شَعْرُها.»

أمّا في مَدينَةِ المَلِكِ جَميل ، فقَدْ دَخَلَ النّاسِكُ العَجوزُ المَدينَةَ المُهَدَّمَةَ ، وأَخَذَ يَتَجَوَّلُ حَزينًا بَيْنَ الأَنْقاضِ وجُثَثِ المَوْتى . وبَيْنَما هو يَتَجَوَّلُ وَجَدَ جَسَدَ المَلِكِ جَميل ، فامْتَلأَتْ عَيْناهُ بِالدُّموعِ .

لٰكِنَّهُ رَأى فَجْأَةً جُفونَ المَلِكِ تَتَحَرَّكُ ، فهَتَفَ : «إنَّهُ حَيٌّ !» ثُمَّ بَذَلَ مَجْهودًا كَبيرًا حَتّى تَمَكَّنَ مِنْ جَرِّ المَلِكِ إلى قاعَةِ القَلْعَةِ المُهَدَّمَةِ . وهُناكَ أَقامَ أَيّامًا يَعْتَني بِالمَلِكِ الجَريحِ لَيْلَ نَهارَ . كانَ يُعِدُّ لَهُ حَساءً مِنَ الخُضَرِ والأَعْشابِ الشّافِيَةِ ، ويُداوي لَهُ جِراحَهُ ويَسْهَرُ عَلى راحَتِهِ .

بَدَأَ جَميل يَتَعافى بِبُطْءٍ ، واسْتَطاعَ بَعْدَ حينٍ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ وظَهْرَهُ . لٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ شَيْئًا . أَخيرًا قالَ لَهُ النّاسِكُ : «حالُكَ الآنَ أَحْسَنُ ، لٰكِنَّنا سَنَصْعَدُ إلى الجِبالِ . فهَواءُ الجِبالِ سيُعَجِّلُ في شِفائِكَ .»

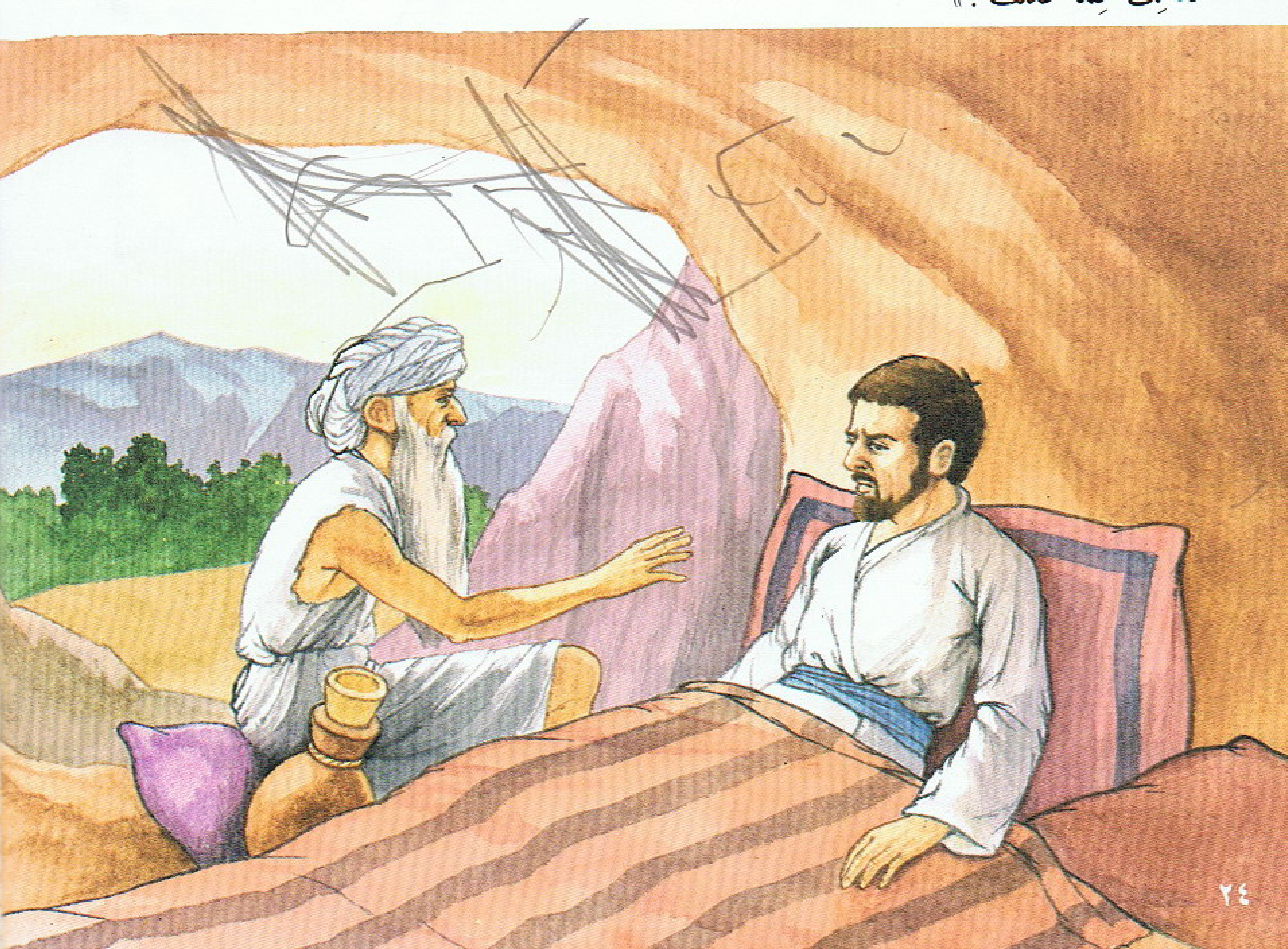


أَقامَ جَميل في كَهْفِ النّاسِكِ الجَبَلِيِّ أَسابيعَ. وكانَ يَزْدادُ عافِيَةً يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، كَما كانَتْ ذاكِرَتُهُ تَعودُ إِلَيْهِ شَيْئًا فَشَيْئًا.

وتَذَكَّرَ ذاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ قَصَّ شَعْرَ زَوْجَتِهِ لَيْلى، وحَدَّثَ النّاسِكَ بِذٰلِكَ. فسَأَلَهُ النّاسِكُ: «أَنادِمٌ أَنْتَ عَلى فِعْلَتِكَ؟»

أَجابَ جَميل: «لا أَدْري.» ثُمَّ قالَ بَعْدَ شَيْءٍ مِنَ الصَّمْتِ: «أَتَظُنُّ أَنّي سَأَراها يَوْمًا؟»

قالَ النّاسِكُ: «اِسْمَعْ، يا جَميل. لِشَعْرِ لَيْلى قِصَّةٌ لَمْ أُطْلِعْكَ عَلَيْها مِنْ قَبْلُ. فَقَدْ كُنْتُ قابَلْتُ أُمَّها قَبْلَ أَنْ تُولَدَ لَيْلى، وحَذَّرْتُها مِنْ قَصِّ شَعْرِ الطِّفْلَةِ الَّتي سَتُولَدُ. الآنَ، عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ لَيْلى لَنْ تَعودَ إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ تُعْلِنَ ثَلاثَ مَرّاتٍ إِعْلانًا صادِقًا عَنْ نَدَمِكَ لِما فَعَلْتَ.»





لَمْ يَفْهَمْ جَميل كُلَّ ما قالَهُ النّاسِكُ ، لٰكِنَّهُ سَكَتَ . فَقَدْ لاحَظَ أَنَّ النّاسِكَ لا يَرْغَبُ في إيضاحِ كَلامِهِ .

وسُرْعانَ ما شَعَرَ جَميل أنَّ عافِيَتَهُ تَسْمَحُ لَهُ بِالخُروجِ لِيَبْحَثَ عَنْ لَيْلى . فَوَدَّعَ النّاسِكَ العَطوفَ بِعَيْنَيْنِ دامِعَتَيْنِ ، واتَّجَهَ صَوْبَ شاطِئِ البَحْرِ . وهُناكَ وَجَدَ قارِبًا شِراعِيًّا صَغيرًا ، فرَكِبَهُ وَحيدًا وقَصَدَ بِهِ بِلادَ أَعْدائِهِ .

لَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ عَلى إبْحارِ جَميل ، حَتّى هَبَّتْ عاصِفَةٌ هَوْجاءُ ، وراحَتِ الأَمْواجُ تَتَقاذَفُ القارِبَ الشِّراعِيَّ الصَّغيرَ وتَمْلأُهُ بِالماءِ . فَصاحَ جَميل : «رَحْمَتَكَ يا رَبّ ! لَيْتَني لَمْ أَقُصَّ شَعْرَ لَيْلى ! »

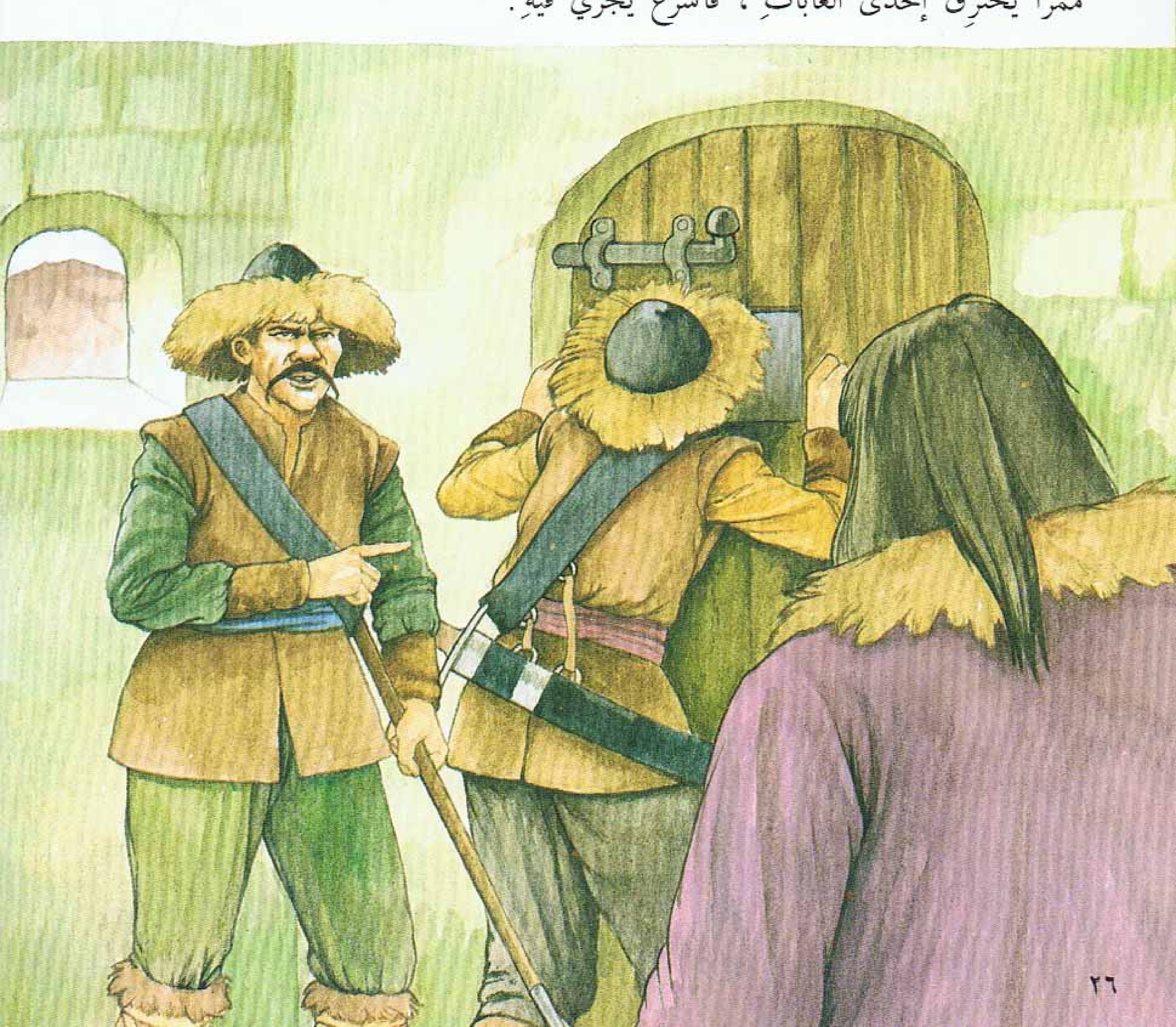
هَدَأَتِ الرّيحُ فَجْأَةً ، وسَكَنَ مَوْجُ البَحْرِ .

في صَباحِ اليَوْمِ التّالي ، اسْتَيْقَظَتْ لَيْلى في البُرْجِ الَّذي تعيشُ أَسيرَةً فيهِ ، فوَجَدَتْ أَنَّ شَعْرَها قَدْ طالَ فَجْأَةً إلى ثُلُثِ ما كانَ عَلَيْهِ في الماضي .

ذَهِلَ حُرّاسُ لَيْلى حينَ رَأَوا ذٰلِكَ . فإنَّ شَعْرَها ، مُنْذُ وُقوعِها في الأَسْرِ ، لَمْ يَكُنْ قَدْ طالَ أَبَدًا . أَسْرَعَ الحُرّاسُ إلى مَلِكِهِمْ يُخبِرونَهُ بِما رَأَوا . فضَحِكَ المَلِكُ ابْتِهاجًا وقالَ :

«فشَعْرُها حَقًّا سِحْرِيٌّ ! هٰذِهِ المَرْأَةُ ستَجْلُبُ لِيَ الكُنوزَ والثَّرَواتِ ! »

وكانَ جَميل قَدْ وَصَلَ عِنْدَ الظَّهيرَةِ إلى بِلادِ أَعْدائِهِ . قَفَزَ إلى الشّاطِئِ ووَجَدَ أَمامَهُ مَمَرًّا يَخْتَرِقُ إحْدى الغاباتِ ، فأَسْرَعَ يَجْري فيهِ .



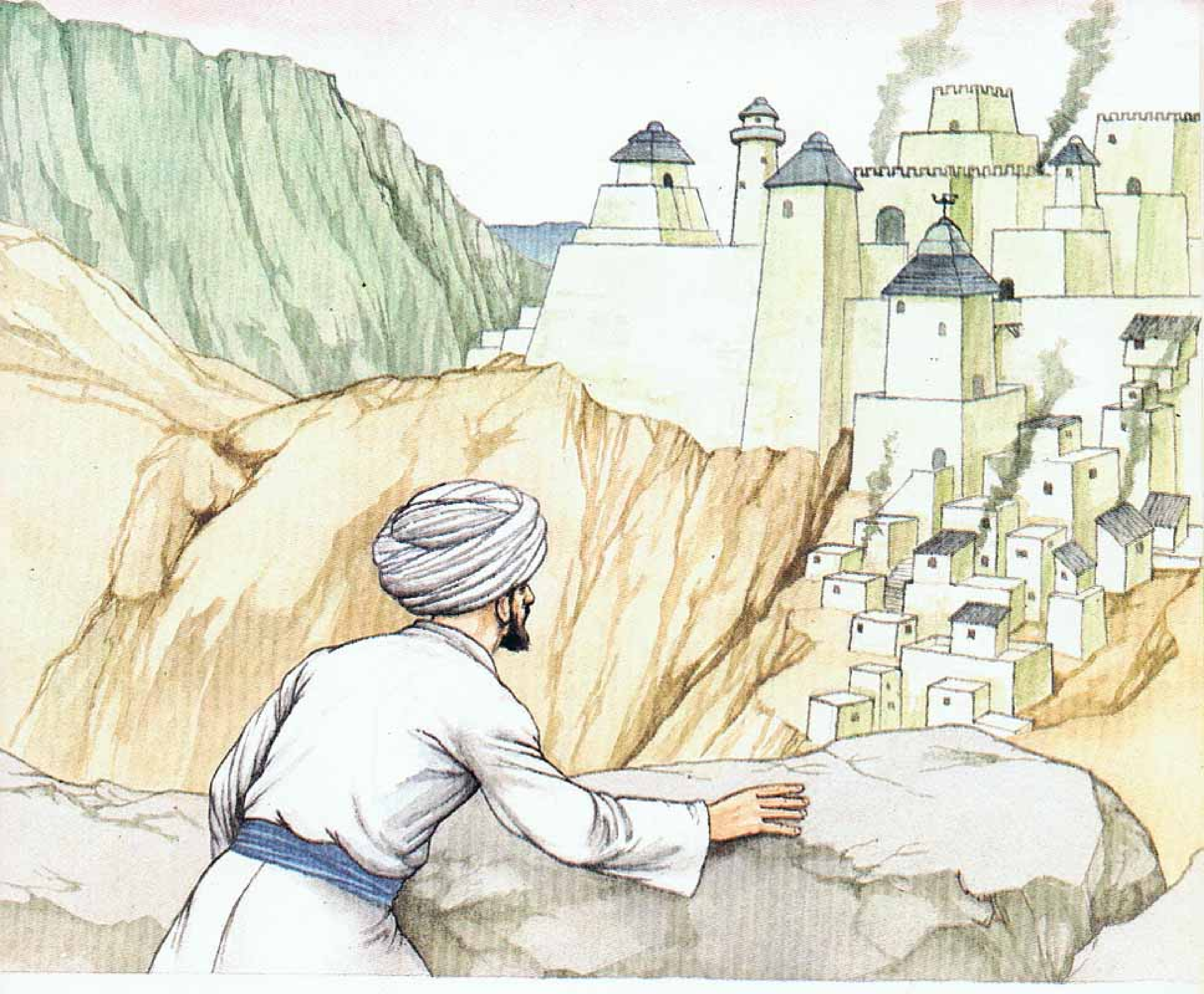


لٰكِنَّ المَمَرَّ طالَ في الغابَةِ وضاقَ وتَشعَّبَ. وأَدْرَكَ جَميل عِنْدَ حُلولِ الظَّلامِ أَنَّهُ أَضاعَ طَريقَهُ. وسُرْعانَ ما وَجَدَ نَفْسَهُ في طَريقٍ مَسْدودٍ تَقْطَعُهُ الجَنَباتُ وأَغْصانُ الأَشْجارِ المُتَشابِكَةُ. فجَلَسَ على صَخْرَةٍ حَزينًا يائِسًا وصاحَ:

«رَحْمَتَكَ يا رَبّ! لَيْتَني لَمْ أَقُصَّ شَعْرَ لَيْلى!»

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ رَأى نورًا يَتَسَرَّبُ مِنْ بَيْنِ الأَشْجارِ، فتَبِعَ ذٰلِكَ النّورَ ووَجَدَ مَمَرًّا أَوْصَلَهُ إلى طَرَفِ الغابَةِ.

في ذٰلِكَ المَساءِ، وبَيْنَما كانَتْ لَيلى تُراقِبُ مِنْ شُبّاكِها غُروبَ الشَّمْسِ، لاحَظَتْ أَنَّ شَعْرَها طالَ فَجْأَةً إلى ثُلُثَي ما كانَ عَلَيْهِ في الماضي.



مَشى جَميل طَوالَ اللَّيْلِ. وعِنْدَ انْبِلاجِ الصَّباحِ وَصَلَ إلى مشارِفِ مَدينَةٍ كَبيرَةٍ تَتَوَسَّطُها قَلْعَةٌ عَظيمَةٌ.

قالَ في نَفْسِهِ: «لا بُدَّ أَنَّ لَيْلى أَسيرَةٌ هُناكَ.» وأَسْرَعَ يَدْخُلُ مَدينَةَ أَعْدائِهِ.

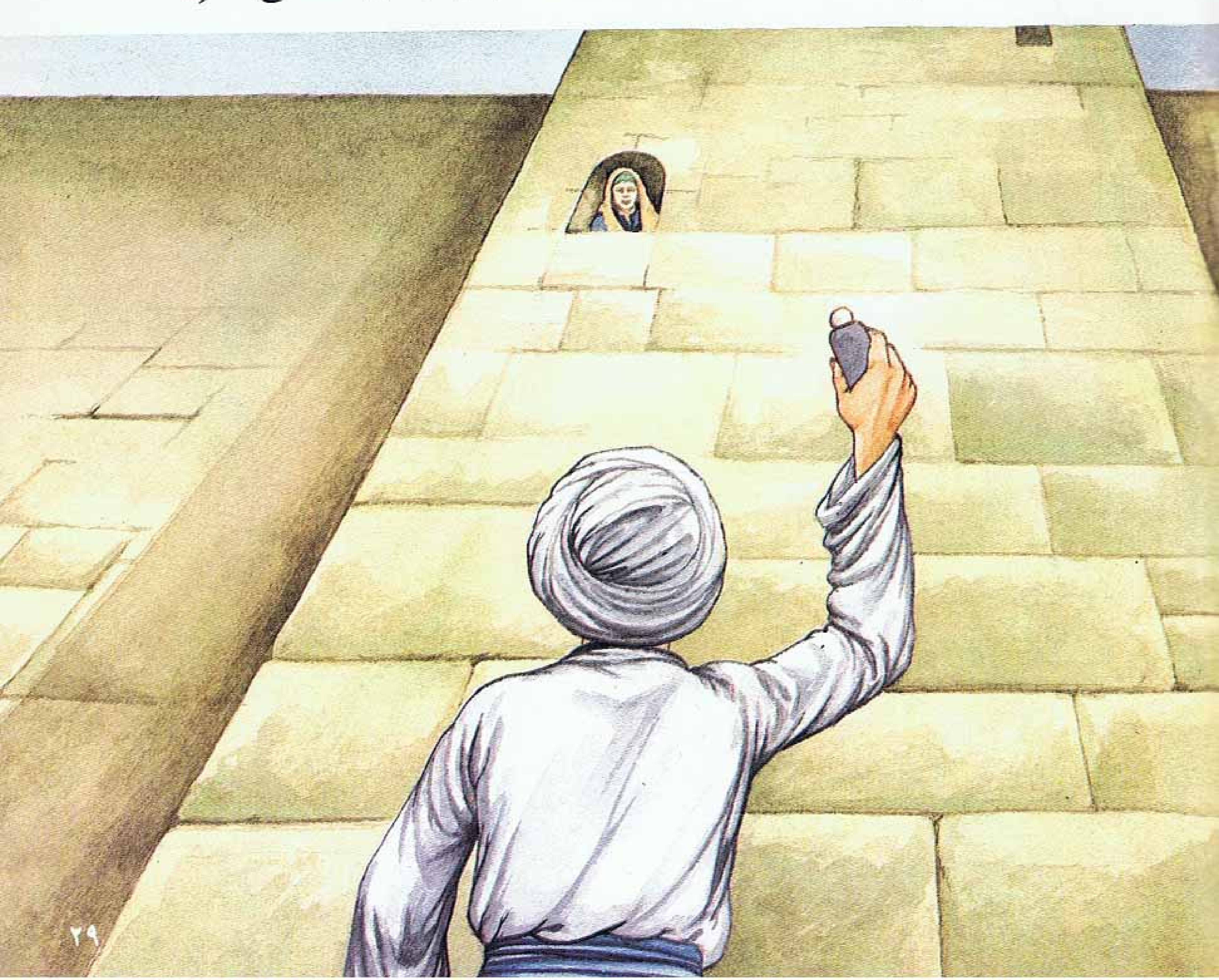
وَقَفَ جَميل مِنْ بَعيدٍ يُراقِبُ القَلْعَةَ، ولاحَظَ أَنَّ سِتَّةَ جُنودٍ يَحْرُسونَ البَوّابَةَ. ثُمَّ رَأى جَماعَةً مِنَ الجَنائِنِيّينَ يَحْمِلونَ شَتَلاتِ وَرْدٍ وأَشْجارًا صَغيرَةً لِيَزْرَعوها في الحَدائِقِ المَلَكِيَّةِ. وكانَ أَحَدُ الجَنائِنِيّينَ عَجوزًا يَكادُ لا يَقْوى على حِمْلِهِ الثَّقيلِ، فَأَسْرَعَ جَميل إِلَيْهِ، وقالَ لَهُ: «اِسْمَحْ لي، يا سَيِّدي، أَنْ أُعينَكَ.» وبِهٰذِهِ الطَّريقَةِ تَمَكَّنَ جَميل مِنْ دُخولِ القَلْعَةِ.

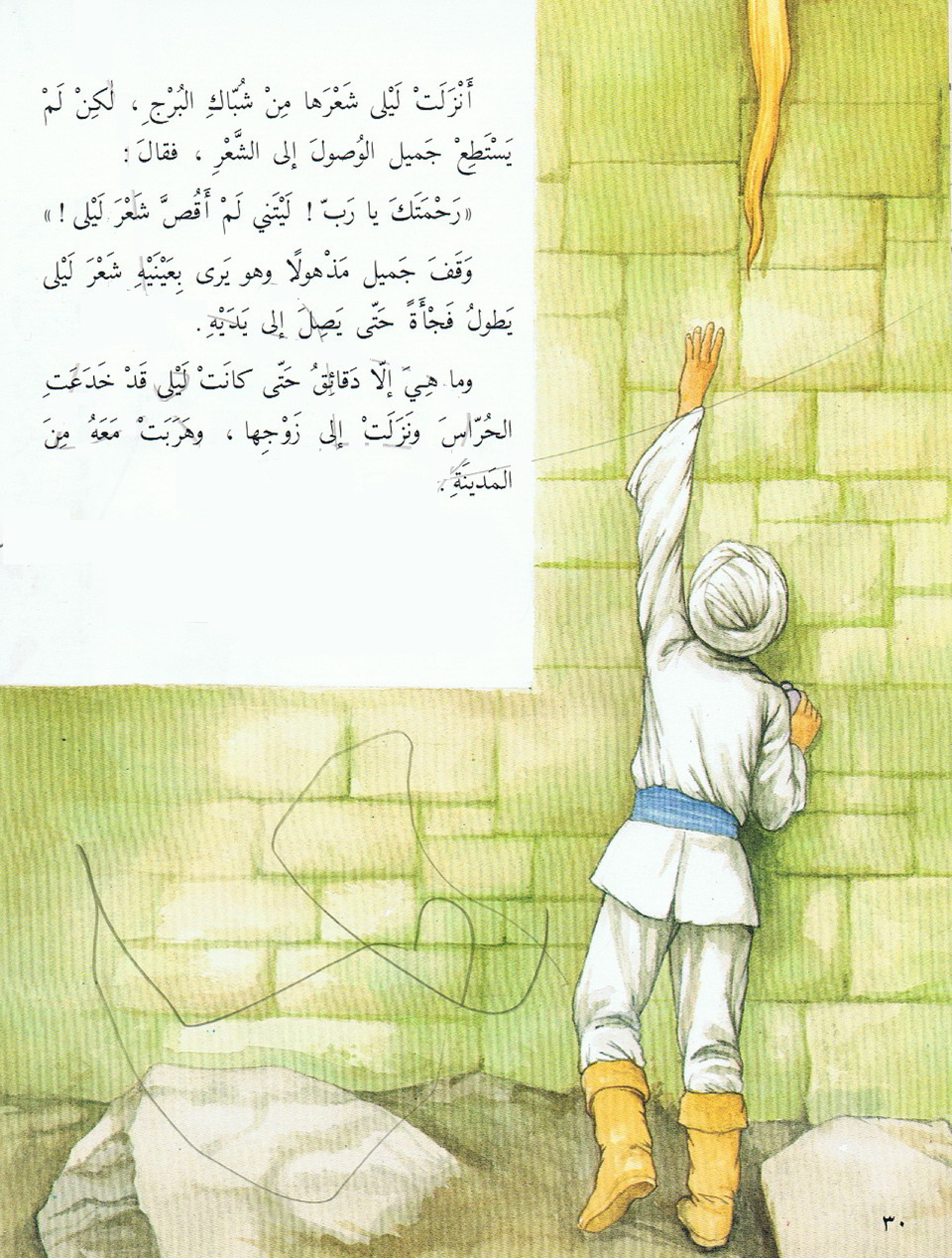
في ذٰلِكَ المَساءِ ، أَوَّلَ هُبوطِ الظَّلامِ ، سَمِعَتْ لَيْلى صَوْتًا شَجِيًّا يُغَنّي تَحْتَ شُبّاكِها :

أَنــا عُصْفورٌ صَغيرْ كَيفَمــا شِئْتُ أَطيرْ
غَيْرَ أَنَّ القَلْبَ مَكْسورٌ فمَحْبوبي أَسيرْ .

قَفَزَ قَلْبُ لَيْلى ، ورَكَضَتْ إلى الشُّبّاكِ. وقالَتْ بِصَوْتٍ خَفيضٍ : «جَميل ، ما تَفْعَلُ هُنا ؟»

أَحَسَّ جَميل أَنَّ قَلْبَهُ يَكادُ يَطيرُ فَرَحًا ، لٰكِنَّ الخَطَرَ شَديدٌ ، فقالَ بِصَوْتٍ خائِفٍ : «أَنْزِلي شَعْرَكِ ، فأَرْبطَ بِهِ قِنّينَةَ مُنَوِّمٍ . ضَعي المُنَوِّمَ في إبريقِكِ ، وقولي لِلحُرّاسِ إنّ لِلماءِ طَعْمًا غَريبًا واطْلُبي أَنْ يَتَذَوَّقوهُ. سَيَنامونَ حالًا. خُذي عِنْدَئِذٍ المَفاتيحَ وانْزِلي.»





أَنْزَلَتْ لَيْلى شَعْرَها مِنْ شُبّاكِ البُرْجِ ، لٰكِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ جَميل الوُصولَ إلى الشَّعْرِ ، فقالَ :

« رَحْمَتَكَ يا رَبّ ! لَيْتَني لَمْ أَقُصَّ شَعْرَ لَيْلى ! »

وَقَفَ جَميل مَذْهولًا وهو يَرى بِعَيْنَيْهِ شَعْرَ لَيْلى يَطولُ فَجْأَةً حَتّى يَصِلَ إلى يَدَيْهِ .

وما هِيَ إلّا دَقائِقُ حَتّى كانَتْ لَيْلى قَدْ خَدَعَتِ الحُرّاسَ ونَزَلَتْ إلى زَوْجِها ، وهَرَبَتْ مَعَهُ مِنَ المَدينَةِ .



مَشى جَميل وزَوْجَتُهُ طَوالَ نَهارٍ ولَيْلَةٍ ، فقَطَعا الأَوْدِيَةَ والتِّلالَ ثُمَّ عَبَرا الغابَةَ الكَثيفَةَ إلى شاطِئِ البَحْرِ. ووَجَدا المَرْكَبَ الشِّراعِيَّ حَيْثُ تَرَكَهُ جَميل ، فأَبْحَرا بِهِ في جَوٍّ صافٍ وبَحْرٍ هادِئٍ.

وحينَ وَصَلا إلى بَلَدِهِما وَجَدا النّاسِكَ العَجوزَ في انْتِظارِهِما عِنْدَ شاطِئِ البَحْرِ. رَحَّبَ النّاسِكُ بِهِما قائِلًا :

«أَهْلًا بِكُما ، يا جَميل ولَيْلى ! كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكُما ستَعودانِ سالِمَيْنِ. هَيّا الآنَ ، فالشَّعْبُ في انْتِظارِ مَلِكِهِ ! » سأَلَ جَميل في انْدِهاشٍ : «شَعْبي في انْتِظاري ؟»

أَجابَ النّاسِكُ : «نعَمْ ، شَعْبُكَ في انْتِظارِكَ. فقَدْ أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكَ عائِدٌ إِلَيْهِمْ ، فتَرَكوا الجِبالَ الّتي هَرَبوا إِلَيْها ورَجِعوا إلى المَدينَةِ المُهَدَّمَةِ لِيُعيدوا بِناءَها . »

وَصَلَ المَلِكُ جَميل وزَوْجَتُهُ إلى المَدينَةِ فاسْتَقْبَلَهُما الشَّعْبُ بِالهُتافِ. ولَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتّى تَمَكَّنَ النّاسُ مِنْ إعادَةِ بِناءِ ما تَهَدَّمَ مِنْ مَدينَتِهِمْ.

وسُرْعانَ ما عادَتِ البِلادُ إلى ازْدِهارِها ، وعاشَ النّاسُ سُعَداءَ راضينَ في ظِلِّ مَلِكِهِمِ العادِلِ الحَكيمِ.

وبَعْدَ ثَلاثِ سَنواتٍ ، قادَ المَلِكُ الشُّجاعُ جَيْشًا قَوِيًّا وعَبَرَ البَحْرَ إلى بِلادِ أَعْدائِهِ. والْتَقى الأَعْداءَ في مَعْرَكَةٍ كُبْرى كانَ لَهُ فيها النَّصْرُ. ثُمَّ عادَ إلى بَلَدِهِ وزَوْجَتِهِ لَيْلى وابْنِهِ الصَّغيرِ الّذي رَبّاهُ عَلى العَدْلِ والحِكْمَةِ ومَحَبَّةِ السَّلامِ.



كتب الفراشة - حكايات محبوبة

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل.
زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢-١١
بيروت، لبنان

الطبعة الأولى، ١٩٩٥
طُبع في لبنان
رقم الكتاب 01C195223



كتب الفراشة

حكايات محبوبة - ١٠ ليلى والأمير

في **كُتُبِ الفَراشَةِ** سَلاسِلُ تَتَناوَلُ أَلْوانًا مِنَ المَوْضوعاتِ في العُلومِ المُبَسَّطَةِ والأَدَبِ القَصَصِيِّ والحَضاراتِ. ويُراعى فيها سِنُّ القارِئِ ، مادَّةً وأُسْلوبًا وإخْراجًا.

كُتُبُ الفَراشَةِ تَمْتازُ بِالتَّشْويقِ الشَّديدِ ، وبِرُسومٍ مُلَوَّنَةٍ بَديعَةٍ ، وبِمَعارِفَ جديدَةٍ قَريبَةِ المُتَناوَلِ ، وبِلُغَةٍ عَرَبِيَّةٍ صافِيَةٍ وواضِحَةٍ. إنَّها كُتُبُ مُطالَعَةٍ مُمْتازَةٌ.

مكتبة لبنان ناشرون

رقم الكتاب 01 C 195001